محاضرات في مقياس

الاتجاهات النقدية في الإعلام و الاتصال

أ.د / ليندة ضيف

النظرية النقدية : الأسس النظرية :

تعريف النظرية النقدية :

يقصد بالنظرية النقدية تلك النظرية التي كان ينطلق منها رواد مدرسة فرانكفورت في انتقادهم للواقعية الساذجة المباشرة، فالنظرية النقدية تعني نقد النظام الهيجلي، و نقد الاقتصاد السياسي، و النقد الجدلي ، و تهدف إلى إقامة نظرية اجتماعية متعددة المصادر، و المنطلقات كالاستعانة بالماركسية ، و التحليل النفسي، و الاعتماد على البحوث التجريبية، فهي نقض للواقع، و نقد للمجتمع بطريقة سلبية ايجابية، و يعني هذا بشكل اخر أنّ نقد متناقضات المجتمع ليس فعلا سلبيا، بل هو فعل ايجابي في منظور مدرسة فرانكفورت .

جذور النظرية النقدية :

قامت النظرية النقدية على إرث فلسفي قديم يقوم على التشكيك في الواقع، و كان أبرز رواد هذا الإرث سقراط من خلال تشكيكه في المعتقدات السائدة، حيث أخضع اعتقادات راسخة لفترة طويلة للتدقيق العقلاني، و أعمل فكره في مسائل تتجاوز النظام القائم، و قد ظهر هذا الاتجاه الفلسفي الجديد في الفترة ما بين الحربين العالميتين، و قد شن ممثليها حربا على الاستغلال و القمع و الاغتراب التي تنطوي عليها الحضارة الغربية .

تتجاوز النظرية النقدية التفسير و الشرح، و هدفها صنع التغيير، أي أنها تفتح المجال واسع أمام البشر للتخلص من ظروف الهيمنة و القهر في مجتمعاتهم، حيث أنها تنقد المجتمع لأجل التغيير، و بما أنها تدرس الواقع بقصد تغييره، فإنّ أفكار كارل ماركس تعد الانطلاقة الأولى لهذه النظرية، إلا أنّ تأسيسها في إطار مدرسة فلسفية كان مع مدرسة فرانكفورت في ثلاثينيات القرن العشرين، و تعد النظرية إحدى الحركات الفلسفية لما بعد الحداثة كونها تدرس و تنقد المجتمع الحديث .

لقد نمت النظرية النقدية في البوتقة الفكرية الماركسية ، إلا أنّ ممثليها الرواد رفضوا منذ البداية الحتمية الاقتصادية، و النظرية المرحلية للتاريخ، و أي اعتقاد في الانتصار المحتوم الاشتراكية، و كانوا أقل اهتماما بما أطلق عليه ماركس القاعدة الاقتصادية منهم بالبنية الفوقية السياسية و الثقافية للمجتمع، لقد كانت ماركسيتهم مختلفة إلى حد ما، حيث ركزوا على منهجها النقدي أكثر مما ركزوا على ادعاءاتها التنظيمية، و على اهتماماتها بالاغتراب، و على علاقتها المعقدة بأفكار عصر التنوير، و على تشديدها

على دور الإيديولوجيا، و على كل الأفكار الأخرى التي يقوم عليها الفكر الماركسي، حيث تشكل هذه المجموعة من المحاور جوهر النظرية النقدية حسبما استوعبها رائدا الماركسية الغربية كارل كورش و جورج لوكاتش، حيث قدم المفكران إطار عمل المشروع النقدي الذي بات يعرف لاحقا بمعهد البحث الاجتماعي أو مدرسة فرانكفورت .

أفكار النظرية النقدية :

ـ ترفض النظرية النقدية ربط الحرية بأي تنظيم مؤسسي أو منظومة فكرية محددة .

ليست هذه النظرية بحاجة إلى توظيف ما يعرف بالفلسفة الدائمة، إذ تصر على أنّ التفكير يجب أن يستجيب للمشكلات و الاحتمالات الجديدة للتحرر و التي تنبثق عن تغير الظروف التاريخية

تتسم النظرية النقدية بأنها متعددة التخصصات، و تجريبية في جوهرها على نحو فريد، و مشككة على نحو عميق في التقاليد و المزاعم المطلقة كافة

لا تهتم النظرية فقط بالكيفية التي هي عليها الأمور بالفعل، و إنما أيضا بالكيفية التي يمكن أن تكون الأمور عليها، أو يجب أن تكون عليها، و قد دفع هذا الالتزام الأخلاقي مفكريها الكبار لتطوير مجموعة من الموضوعات و المحاور، و منهج نقدي جديد غير طريقة فهمنا للمجتمع .

و لقد جسد كل من كانط و هيجل الافتراضات العامة للنظرية و المستمدة من عصر التنوير الأوروبي خلال القرنين السابع عشر و الثامن عشر، فقد اعتمدا على العقل لمحاربة الخرافة، و الانحياز و الاستبداد و الممارسات التعسفية من جانب السلطة المؤسسية، كما وضعا افتراضات بشأن الآمال الانسانية التي تعبر عنها الجماليات، و الرغبة في الخلاص التي تنطوي عليها الأديان، و طرق التفكير الحديثة حول العلاقة بين النظرية و التطبيق .

أهداف النظرية :

حسب هوركايمر تهدف النظرية النقدية إلى تحقيق ثلاث مهام :

1. الكشف في كل نظرية عن المصلحة الاجتماعية التي جاءت بها وحددتها، و هنا يتوجه هوركايمر كما فعل ماركس إلى تحقيق الانفصال عن المثالية الألمانية ، و مناقشتها في ضوء المصالح الاجتماعية التي أنتجتها .
2. و تتمثل المهمة الثانية للنظرية النقدية في أن تظل هذه النظرية على وعي يكونها لا تمثل مذهبا خارج التطور الاجتماعي التاريخي، فهي لا تطرح نفسها باعتبارها مبدأ إطلاقيا، أو أنها تعكس أي مبدأ إطلاقي خارج صيرورة الواقع، و المقاس الوحيد الذي تلتزم به هو كونها تعكس مصلحة الأغلبية الاجتماعية في تنظيم علاقات الانتاج بما يحقق تطابق العقل مع الواقع ، و تطابق مصلحة الفرد مع مصلحة الجماعة .
3. بينما تتمثل المهمة الثالثة للنظرية في التصدي لمختلف الأشكال اللامعقولة التي حاولت المصالح الطبقية السائدة أن تلبسها للعقل، و أن تؤسس اليقين بها على اعتبار أنها هي التي تجسد العقل، في حين أنّ هذه الأشكال من العقلانية المزيفة ليست سوى أدوات لاستخدام العقل في تدعيم النظم الاجتماعية القائمة، و هو ما أطلق عليه هوركايمر بالعقل الأداتي .

رواد النظرية النقدية :

ماكس هوركايمر :

ومن ثم، يعد ماكس هوركايمر من المؤسسين الحقيقيين لمدرسة فرانكفورت، وقد كان مديرا لها منذ 1931م، وقد اهتم في بداية المعهد بدراسة الفلسفة الاجتماعية، ونقد المذهب الوضعي والمثالية الألمانية والوضعية المنطقية، وهاجم الميتافيزيقا الغربية على غرار جاك ديريدا ومارتن هايدجر، وقد عاب هوركامير على الوضعية ميلها الكبير إلى العلمية والموضوعية والتجريبية، و تشييء الإنسان، وفصل الحقيقة عن القيم، كفصلها المعرفة عن المصالح البشرية.

وهكذا، يقدم هوركايمر، مقابل الوضعية وعلى النقيض منها، "نظرية جدلية تظهر فيها الحقائق الفردية بذاتها في ترابط لا لبس فيه دائما، وتسعى لأن تعكس الواقع في كليته. فضلا عن ذلك، فإن الفكر الجدلي، يوحد المكونات التجريبية في تركيبات من الخبرة... المهمة للمصالح التاريخية التي يرتبط بها الفكر الجدلي... فعندما يعي فرد فعال من ذوي الحس السليم الوضع الكريه للعالم، فإن الرغبة في تغييره تصبح هي المبدأ المرشد الذي ينظم به الحقائق المعطاة، ويشكل منها نظرية... وبقدر ما يعتمد التفكير الصائب على إرادة قويمة، بقدر ما تعتمد الإرادة القويمة على التفكير الصلب .

ويتابع ماكس هوركايمر التعريف بنظريات مدرسة فرانكفورت وتوجهاتها في مقال قيم تحت عنوان: "النظرية التقليدية والنظرية النقدية" (1937م)، يوضح فيه أسس المدرسة ومرتكزاتها النظرية والتطبيقية. وقد سعى هوركايمر جادا إلى تسليح الطبقة العاملة (البروليتاريا) بفكر نقدي تغييري، ووعي طبقي تنويري. وقد اهتم هوركايمر بالمجال الثقافي، واهتم كذلك بالفرد كمركز للفكر والعمل، متأثرا في ذلك بالفلسفة الوجودية السارترية وفلسفة ماكس فيبر، واعتنى بشكل من الأشكال بعلم نفس الفرد والتحليل السيكولوجي. وقد انتهى هوركايمر في نهاية حياته عن أن يكون منظرا نقديا، فتحول إلى راهب ديني وصوفي، حينما جعل كانط وهيجل فوق ماركس.

هربرت ماركوز: الاعلام وصناعة الانسان ذو البعد الواحد

ولد ماركيوز في برلين، و حصل على الدكتوراه من جامعة فرايبورغ تحت إشراف هيدجر، عمل في معهد البحث الاجتماعي في فرانكفورت حتى عام 1933 حيث تم إغلاق المعهد لدى تسلم النازية الحكم في ألمانية . واضطر ماركيوز لمغادرة ألمانيا هرباً من البطش النازي إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث انضم إلى معهد البحث الاجتماعي في جامعة كولومبيا عام 1934، وخلال الأربعينات عمل مع العديد من المؤسسات الثقافية الحكومية في أمريكا، ودرّس في العديد من الجامعات الأمريكية بنجاح منذ عام 1950 ، وقد عرف ماركوز بعدائه الشديد للهيمنة التقنية، وكان يعتبر العقل المنغلق سببا في استلاب الإنسان، وتحويله إلى آلة انتاجية ليس إلا. ومن ثم، فقد بلور ماركوز فلسفة تشاؤمية بسبب اغتراب الإنسان في المجتمع الصناعي الحديث الذي تغلب عليه التقنية، ويضيع فيه الإنسان باعتباره ذاتا وكينونة ووجودا، وهي نفس النزعة التشاؤمية الموجودة عند ماكس فيبر، و يرجع هذا التشاؤم إلى شعور فئة معينة من المجتمع أي: الشريحة العليا المثقفة من الطبقة الوسطى، أو الصفوة المثقفة بالإحباط وخيبة الأمل.

حلل ماركيوز المجتمع الرأسمالي – متأثراً بمشاهداته للمجتمع الأمريكي – محاولا استكشاف الحلقة الجديدة في استغلال الإنسان، فأسس لمفهوم الهيمنة لتوضيح كيفية استعباد الإنسان في مجتمع التقنية والعقلانية الأداتية، حيث الإنسان مستلب لصالح فيض إنتاجي استهلاكي (ماركس) ومستعبد من قبل لاشعور(فرويد) ذاخر بأمراض مجتمع التقنية الأداتي، فركز ماركيوز تحليله على النسق الثقافي و الإعلامي لتوضيح كيفية السيطرة على الإنسان بحيث تغدو الديمقراطية قمعاً مموهاً .

طرح ماركيوز رؤيته الرئيسية للسلطة الهائلة للتكنولوجيا وخاصة تكنولوجيا الاتصال والاعلام في كتابه " الانسان ذو البعد الواحد" حيث اوضح التفاقم الهائل لسلطة الآلة والتكنولوجيا فى المجتمعات الصناعية المتقدمة ودورها فى انتاج نمط من العلاقات بين الفرد والمؤسسات التى تتحكم فى الوجود الاجتماعي. فقد قام ماركيوز بتأسيس نظريته النقدية من خلال رصد واستقصاء وسائل السيطرة والهيمنة التكنولوجية والثقافية داخل المجتمعات الرأسمالية المتقدمة تكنولوجيا. ويرى أن الأدب والفن والجنس يتم استيعابها فى هذه المجتمعات داخل الموجة العاتية للاستهلاك والنزعة التجارية، الأمر الذى يحول الثقافة إلى غذاء استهلاكي يومي أحادي البعد .

من ناحية ثانية يؤكد ماركيوز على أنّ المجتمع المعاصر يتسم بالانغلاق والهيمنة على المستوى الفكري والسياسى والاجتماعى، حيث يحول الانسان فيه الى انسان ذو بعد واحد بمعنى أنه لا يسمح له ابدا بالتطلع الى التغيير بحيث يندمج كليا فى مجتمعه و يتكيف كليا مع ما هو قائم ولا يتطلع الى ما وراء ذلك ، كما شرح ماركيوز أسباب انكفاء النقد وتخدره في المجتمع التقني الرأسمالي حيث أنه في ظل المجتمع الصناعي المعاصر الذى وصفه بالطابع الكلى فإن أسس النقد يتم تقويضها، من خلال تكريس منظومة كاملة للسيطرة والهيمنة، وتعد التقنية او التكنولوجيا عند ماركيوز كعقلانية هى فى ذاتها الية من اليات الهيمنة كما ذهب ادورنور وهوركهايمر.

لذلك يرى ماركيوز أنه فى المجتمع التقني ينحو الإنتاج منحى الكلية totalitarian ليحدد الحاجات الفردية و نشاطات الحياة الاجتماعية، فتزول الحدود بين عالم الحياة الخاص و العام، و تندمج الحاجات الفردية بالحاجات الاجتماعية، هذه الكلية سمة مشتركة بين أنظمة أوربا الشرقية والأنظمة الرأسمالية .

يرى ماركيوز ايضا أنه وعلى الرغم من أن التطورات التكنولوجية اللامتناهية، إلا أن المجتمع الصناعي التكنولوجي المعاصر ذو نزعة كلية استبدادية سياسياً و اقتصادياً، ويحقق تحكمه عبر تصوير بعض المصالح الخاصة لفئة معينة كما لو أنها مصلحة عامة، والإشكالية هنا أن القمع السياسي لا يتم بالطريقة البدائية السافرة إنما يتم عبر نظام نوعي للإنتاج و التوزيع مترافق مع تعددية حزبية وصحافة حرة و فصل للسلطات مما يموِّه العملية، و يجعل الاستبداد ذا عباءة ديمقراطية .

لذلك فهو يرفض التصور القائل بحيادية التكنولوجيا ويراها آلية من آليات الاستبداد .

و حتى يوضح ماركيوز كيف تتم الهيمنة و الرقابة على الأفراد حتى لا يخرجوا عن الإطار المرسوم لهم لضمان سير النظام على أكمل وجه، يجب التمييز بين حاجات حقيقية و حاجات كاذبة، فالحاجات الكاذبة هي الحاجات التي تفرضها مصالح اجتماعية معينة لتبرير العدوان و الظلم، و هي تحقق شعوراً بالسعادة لكنه شعور زائف كونه يمنع الفرد من إدراك الشقاء العام، و بعبارة أخرى " تجعله يرى الرفاه في الشقاء"

ولقد اشار الى مصطلح مهم هو صناعة الثقافة Culture industry حيث تقوم الصناعة بتلبية جميع حاجات المشاهدين، تلك الحاجات التي يتم اصلا تحديدها مسبقا، بحيث يرى المشاهد نفسه مستهلكا لصناعة الثقافة التي توهمه بانها تشبع احتياجاته. وبذلك فمن خال الاعلام والثقافة تم السيطرة على الفرد وبسطت الدولة هيمنتها عن طريق تعزيز الوعى الزائف وتقييد الفكر المعارض و النقدي من جانب الانسان الذى تحول ليكون ذو البعد الواحد. .

ولقد استخدام مصطلح الصناعات الثقافية كلا من أدورنو وهركهايمر ايضا وقاما بتوضيح ان السينما والافلام والاذاعة والصحافة تمثل نسقا متسقا أدى لفوضى ثقافية تطبع كل الاشياء بطابع نمطى واحد فى حياتنا اليومية.

إن هذه العملية تجعلنا ندرك زيف الحرية الرأسمالية الملازمة للمجتمع المعاصر كما يؤكد عمار عكاش، "فدوماً هناك حاجات ملّباة لكنها حاجات مخلوقة من خارج الإنسان مفروضة عليه، و هذه العملية تدور بدون توقف"، و بالتالى فمن غير المنطقي ان توصف بانها حرية اختيار الأشياء مفروضة سلفا " فالحرية الإنسانية لا تقاس تبعاً للاختيار المتاح للفرد إنما العامل الحاسم الوحيد في تحديدها هو ما يستطيع الفرد اختياره و ما يختاره، فقدرة المرء على اختيار سادته بحرية لا تلغي حقيقة وجود السادة و وجود العبيد " .

كما يرى ماركيوز إن الثقافة الرفيعة التي يرى فيها فرويد Freud جزءً من عملية التسامي عن الواقع، و التي يعتبرها ماركيوز ضرورية لخلق عالم بديل، فشلت، نتيجة هيمنة العقلانية التكنولوجية .فقد تدنت الثقافة الرفيعة إلى ثقافة جماهيرية، و بمتابعة وسائل الإعلام الجماهيري يمكننا رصد مظاهر الانحطاط الثقافي، حيث يجري الخلط بين الدين و الفلسفة و التجارة و السياسة و الفلسفة و التجارة في خدمة شكل بضاعي، و حتى موسيقى الروح المروّجة إعلامياً هي موسيقى تجارية . وفى هذا الاطار يقول أدورنو وهوركهايمر انه ينبغى على السينما والاذاعة الا تتمادى في الادعاء بانها فنون وفى الواقع هي مجرد اعمال تاخذ طابع ايديولوجى لتبرير سوء منتجاتها.

وفى ضوء هذا الفهم لتسليع الفن يقول عمار عكاش أن تحويل الثقافة الرفيعة الى ثقافة شعبية لا يعنى كوننا نجحنا في الوصول بالأدب والفن الى المستوى الجماهيري على العكس لقد تم تسطيح الفن وتهميش قيمته من خلال التكنولوجيا و ثورة وسائل الاتصال والاعلام الجماهيري " فموسيقى باخ تستخدم كموسيقى ناعمة للمطبخ، و مؤلفات أفلاطون و هيغل وبودلير وشيللر وماركس وفرويد تباع في المخازن العامة، فعلى الرغم من أن المجتمع المعاصر ألغى الشكل الأرستقراطي للثقافة باعتبارها ثقافة نخبة غنية مثقفة (أي ثقافة مجتمع قمعي) لكن ذلك لا يعني أن هذا المجتمع هو مجتمع غير قمعي، فهو حول الفن إلى فن أحادي البعد ".

وقد بين ماركوز في كتابه: "إنسان البعد الواحد" باختفاء الدور التاريخي الفعال للطبقة البورجوازية والطبقة البروليتارية على حد سواء، و هناك قوة واحدة مخفية متحكمة في مسار هاتين الطبقتين معا هي العقلانية العلمية التقنية. وليست هناك طبقة معارضة، فقد تم استيعاب الطبقة العاملة واسترضاؤها من خلال تحفيزات مادية استهلاكية، وترشيد عملية الإنتاج ذاتها. وقد أثارت أفكار ماركيوز :"استجابة سريعة لدى حركة الطلبة الأمريكية في أواخر الستينيات بمعارضتها للنظام، ولدى حركات طلابية أخرى في دول أوروبية شتى إلى حدما. لكن الحركات الاجتماعية في ذلك الوقت كانت جميعها واقعة تحت تأثير تحليلات متنوعة عن البنية الطبقية المتغيرة، وعن مغزى التكنوقراطية والبيروقراطية، التي قدم علماء الاجتماع إسهامات ملحوظة بصددها .

وتتركز أفكار هربرت ماركوز سياسيا حول ثلاث قضايا شائكة : دور الطلاب في العالم الرأسمالي، والحركة الطلابية في فرنسا عام1968م، ودور الطبقة العاملة الحديثة في الغرب.

تيودور أدورنو :

ويعد تيودور أدورنو من أهم رواد النظرية النقدية، ومن المؤسسين الفعليين لمدرسة فرانكفورت، وقد انصب اهتمامه على مجال الثقافة، وبخاصة الموسيقا، والتحليل النفسي، ونظرية علم الجمال، متأثرا في ذلك بوالتر بنيامين، ولم يعرف بالنظرية الجدلية، بقدر ما عرف بالجدل السلبي في نقده للنظريات الفلسفية والنظريات الاجتماعية، كأنه يعيدنا بهذه الأفكار السلبية إلى مذاهب الشك والنسبية. وإذا كان هوركايمر وماركوز لهما صياغة اجتماعية إيجابية على أساس التصور الهيغلي للعقل، فإن آراء أدورنو كانت بعيدة عن الماركسية، على الرغم من كونه يدعي أن فلسفته مادية جدلية. وقد انتقد أدورنو مرات

عديدة أفكار ماركس، وخاصة علم التاريخ والمادية التاريخية، ولم يهتم بحال من الأحوال بتحليل ماركس الاقتصادي، وعلاقته بنظريته عن الطبقات، بل أخذ من جورج لوكاش المستوى السلبي من النقد الإيديولوجي في نقد الوعي الطبقي البورجوازي. وقد ساهم في بلورة النقد الثقافي كما يبدو ذلك واضحا في بحثه الذي كتبه مع هوركايمر بعنوان:"جدل التنوير" (1944م)، حيث انتقد فيه العقل العلمي الوضعي الذي يقدم حقائق زائفة عن الوضع البشري، وانتقد العلم والتقنية، وكان يرى أنها سببا في استلاب الإنسان واستغلاله، وأنها وهم إيديولوجي زائف ليس إلا. كما انتقد الثقافة الجماهيرية الساذجة التي تساعد على انتشار الإيديولوجيا الواهمة.

ومن جهة أخرى، رفض أدورنو نظرية لوكاش الواقعية التي تقوم على الانعكاس المباشر، حيث يتحول الأدب أو الفن في منظوره إلى مرآة تعكس بطريقة مباشرة ما يقع في الواقع محاكاة وتمثلا ونقلا وتصورا. وقد اهتم أدورنو بالجمال اهتماما لافتا للانتباه، ويعد أدورنو كذلك من رواد نظرية الجمالية الجديدة، حيث ألف كتابا تحت عنوان:"نظرية الجمال"، حيث يعطي مفهوما جديدا للفن والجمال مخالفا للتصور الماركسي الذي يرى أن الجمال تمثل للعالم وانعكاس له، بينما يرى أدورنو أنّ الجمال أو الفن وسيلة هروب غامضة. و"هكذا، يرفض أدورنو نظرة لوكاش إلى الواقعية، مؤكدا أن الأدب لا يتصل اتصالا مباشرا بالواقع على نحو ما يفعل العقل، فتباعد الفن عن الواقع هو الذي يكسبه قوته ودلالته الخاصة.

ومن هنا، فالنظرية النقدية – حسب أدورنو – هي نقد للواقعية الماركسية الانعكاسية الساذجة، التي تعقد الصلة المباشرة بين الأدب والمجتمع في جل تناقضاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتاريخية، ويرى أدورنوا أن علم الاجتماع يجب أن يهتم بالايديولوجيا عن طريق أبحاثه في التواصل، ووضعه الى جنب المنتجين والمستهلكين لصناعة الثقافة الموضوعة بهدف انتاج معارف محدودة وعقل محدود، غير أن علم الاجتماع اذا أراد أن يصبح ناقدا للايديولوجيا يجب عليه أن يحلل وسائط الاتصال العامة ويدرس" سيناريوهاتها" التي تعرف بثقافة الجماهير، والتي تصب بعناية بالغة في تبرير ما هو موجود والسيطرة المحكمة على الذوق والنقد على حد سواء.

وعلى العموم تعلن تلك الايديولوجيا أنه ليس هناك ما هو أحسن مما هو كائن (وهذه الثقافة دعائية ليس إلا، وما تنفك تتحول رويدا رويدا إلى إرهاب، عندما تعمل على إقرار الوضع القائم كأمر لا مناص أو بديل عنه)

وفي الأخير، "لم ير أدورنو إمكانية لتحرير الفرد من التسلط والهيمنة، لا في ظهور جماعات معارضة جديدة، ولا في التحرر الجنسي، وإنما ارتأى هذه الإمكانية بالأحرى في عمل الفنان الأصيل الذي يواجه الواقع المعطى بالتلميح إلى مايمكن أن يكون. وعلى هذا، فإن الفن الأصيل يمتلك قوة كبيرة، لدرجة يضعه أدورنو في مواجهة العلم الذي يعكس الواقع الموجود فحسب، فيما يمثل الفن الأصيل شكلا أعلى من أشكال المعرفة، وسعيا متجها إلى المستقبل وراء الحق".

والتر بنيامين :

أما والتر بنيامين (1892–1940م)، فيعد أيضا من رواد مدرسة فرانكفورت، وقد تأثر بكتابات كارل ماركس وأفكار جورج لوكاش الواقعية، وتكمن أهميته في كونه قدم أفضل الصيغ في الفكر النقدي للأدب، وقد ساهمت نظريته بشكل من الأشكال في ظهور البنيوية التكوينية عند لوسيان كولدمان،وقد اهتم بالفن كأدورنو اهتماما لافتا للانتباه،حيث درس الأدب في ضوء مفاهيم ماركسية، حيث اعتبر الفن والإبداع الأدبي إنتاجا والمؤلف منتجا، كما يتضح ذلك جليا في كتابه: "المؤلف منتج" (1934م). وقد طالب بنيامين أن يكون الإنتاج ثوريا، وعاملا فعالا في خلق علاقات اجتماعية جديدة بينه وبين المتلقي.ويعني هذا أنه يدعو إلى الفن الثوري الذي يغير المجتمع شكلا ومضمونا، وينوره بشكل إيجابي عبر تمرير رسائل ثورية. ومن هنا، يعتمد الفن عند والتر بنيامين : "على تقنيات معينة من الإنتاج، شأنه في ذلك شأن غيره من أشكال الإنتاج أي: يعتمد على أنماط معينة في الرسم والنشر والعرض المسرحي...إلخ. هذه الأنماط جزء من القوى الإنتاجية للفن، وجانب من مرحلة من مراحل تطور الإنتاج الفني، تتضمن جماعا من العلاقات الاجتماعية بين الفنان المنتج والمتلقي المستهلك".

ومن جهة أخرى، يرى بنيامين أن الاستنساخ الصناعي قد قضى على الفن الراقي والسامي، وحوله إلى كليشيهات لا حياة فيها و لا روح. وهكذا، يقول بنيامين في مقاله: "العمل الفني في عصر الاستنساخ الصناعي" (1933م): "إن الأعمال التراثية في الفن كانت تحيط بها هالة من التفرد والتميز والتباعد و الديمومة. و لكن الاستنساخ الآلي للرسم، مثلا، قضى على هذا التفرد، وأحل محل اللوحة الفريدة

نسخا شعبية، فحطم بذلك من هالة الفن المتوحد المغترب، وأتاح للمشاهد أن يرى اللوحة حيث يشاء، وحين يشاء. وإذا كان البورتريه يحافظ على تباعده عن الموضوع، فإن آلة التصوير تنفذ إلى الموضوع، وتقارب بينه وبين المشاهد إنسانيا ومكانيا إلى أبعد حد، فتقضي على أي سحر غامض ينطوي عليه الموضوع. يضاف إلى ذلك أن الفيلم في آلة التصوير يجعل الناس جميعا خبراء، ما ظلوا قادرين على التقاط الصور الفوتوغرافية؛ فتتهدم الشعيرة التقليدية لما سمي بالفن الراقي.

يورجين هابرماس :

أما يورجين هابرماس مجدد مدرسة فرانكفورت، فيمثل النظرية النقدية في مرحلة ما بعد الحداثة، وهو من أبرز المعبرين عن الاتجاه العقلاني، إذ نقد الطابع التقني والوضعي القمعي للعقل في الممارسات الرأسمالية والاشتراكية.

ويمثل هابرماس الجيل الثاني للنظرية لمدرسة فرانكفورت وهو الجيل الذى قاد النظرية النقدية نحو مرحلة متقدمة من الشمول والاتساع وجعلها أكثر انفتاحا على العلوم الأخرى. وهو ينتمى الى حقلى الفلسفة والسوسيولوجيا . صدر له 20 مؤلفا أبرزها كتاب النظرية والتطبيق الذى يحوى نقدا عميقا للماركسية.

اهتم هابرماس بدراسة الثقافة والاعلام كما تناول الصحافة الرأسمالية التى تدافع عن النظام القائم والسلطة المرتبطة بها مصلحيا وايديولوجيا، كما تناول من خلال التتبع الدقيق اساليب السلطة في تطوير لغتها داخل الصحافة لمواجهة التطور الذى انجزته المعارضة.

صاغ هابرماس فى دراسته للتطور الاجتماعي و السياسى في أوروبا مقولة جديدة هي "المجال العام public sphere "وكانت هذه المقولة هى موضوع رسالته التأهيلية للتدريس في الجامعة، وقد اعدها عام 1961 ونشرها عام 1962، وجاءت بعنوان : التحولات البنائية للمجال العام ، و قد قام فيه بدراسة الوضع الراهن للمجتمع من خلال تأثير الدعاية و الإعلام كوسيلة فعالة و مباشرة من وسائل هيمنة الدولة و مؤسساتها بمعنى أنّ الدولة هي التي تشكل الرأي العام و تسيطر عليه من خلال الدعاية و الإعلام، تناول هابرماس فى هذا العمل رؤيته للمجتمع باعتباره شبكة من العلاقات قوامها آلية محددة هى التواصل. قام هابرماس بدراسة المجال العام منذ نشأته في القرن السابع عشر وتطوره عبر القرنين الثامن عشر و التاسع عشر وحتى اضمحلاله طوال القرن العشرين .

وقد عرض فى دراسته كيف بدأ المجال العام فى القرن السابع عشر بين مجال الدولة والمجال الخاص من الاسرة والمجتمع المدنى، فلم يكن ذلك المجال جزءا من مجال الدولة بل على العكس كان معارضا لها ولآلياتها القانونيه والبيروقراطيه، كذلك لم يكن جزءا من المجتمع المدنى الذى تحكمه آليات السوق و المصلحة الشخصية. كذلك عرض لتطور مفهوم الرأي العام فخلال النصف الأول من القرن التاسع عشر حدث للمجال العام تحولا بنائيا وتاريخيا حيث أدى الحوار النقدي الذى أتاحه المجال العام الى التأثير على شكل الدولة الحديثة مما أدى الى تأثير مباشر فى سياسات الحكومات. وفى اطار ذلك تناول هابرماس الأدب فى مرحلته الكلاسيكية والانسانية الشمولية الى مرحلة أخرى هى تحويل الانتاج الثقافى الى سلعة حيث أشار ال اختفاء الدور النقدى الجاد فى العروض الثقافية واصبحت الدعاية والتسطيح هما البديل السريع مما ادى الى قتل الوظيفة الحيوية التى كان يمارسها النقد الأدبى، وبهذا الفهم يتضح أن المجال العام يعد وسيطا بين المجتمع المدنى والدولة، والدليل على ذلك أن المجال العام أقدم من القانون المدنى الذى جاء لينظم الحريات الاساسية كحرية الرأى والنقاش والنشر والاجتماع، ولهذا، يرى هابرماس أن التفاعل الاجتماعي هو أيضا بعد أساسي من أبعاد الممارسة الإنسانية، وليس الإنتاج وحده، وهو ما يوضح فلسفته التي تقوم على مفهوم الاتصال أو التواصل، وعلى أسبقية اللغة، وأولويتها على العمل.

والعقل الاتصالي عند هابرماس، هو فاعلية تتجاوز العقل المتمركز حول الذات، والعقل الشمولي المنغلق الذي يدعي أنه يتضمن كل شيء، والعقل الأداتي الوضعي الذي يفتت الواقع ويجزئه، ويحول كل شيء إلى موضوع جزئي حتى العقل نفسه"

إن هذا التطور يسجل ابتعادا أكثر عن نظرة مدرسة فرانكفورت في مرحلتها الأخيرة، وأصبح هذا التباعد أكثر صراحة بإعلان هابرماس أنه يتناول النظرية الاجتماعية بوصفه: "منظرا ماركسيا مهتما بمواصلة التعاليم الماركسية في ظل ظروف تاريخية متغيرة على نحو كبير". وهكذا، قدم هابرماس عناصر النظرية الماركسية المعاد بناؤها في عملين مهمين خلال السبعينيات، دار أولهما حول مشكلات الشرعية في المجتمعات الرأسمالية إبان مراحل تطورها الأخيرة، والثاني حول المادية التاريخية".

فلم تعد النظريَّة النقديَّة عند هابرماس كما كانت عند مدرسة فرانكفورت مقتصرة على نقد الوضع الرَّاهن أو ما يُسمَّى الإيديولوجيا، بل سعى هابرماس لتأسيس وتطوير نمط جديد من الرُّوح التَّواصليَّة داخل المجتمع، فموقف الاغتراب قد تجسَّد في فكره، وكأنَّه فقدان للعلاقة التواصليَّة مع الأنا الفرديَّة والأنا

الاجتماعيَّة، وأنَّ مفهوم التحرُّر بالنسبة إلى الهيمنة الحاليَّة هو ذلك الغزو الذي يكون التفكير الذاتي بفضله قادراً على خلق طرف مساعد لانبثاق التواصل بين الذّات ونفسها، من هنا كانت النظريَّة النقديَّة عند هابرماس بمثابة الرُّوح والقوَّة الدَّافعة التي تحرّك وتغيّر الأوضاع القائمة، وكان النقد هو مصدر تهديد دائم للدّعاية وهيمنتها على وعي الأفراد، لذا يرى هابرماس أنَّ إمكانيَّة الخروج من الاستلابيَّة الطاغية للدّعاية هي خلق وتنشيط أنماط جديدة من التَّواصل بين الأفراد والسُّلطة القائمة.

ويستمرُّ هابرماس في نقده للتقدُّم العلمي والتكنولوجي؛ فقد أصبحا في نظره يشكّلان الإيديولوجيا الجديدة، وقد صاحب الدَّور الإيديولوجي للعلم والتكنولوجيا الوعي التكنوقراطي؛ أي حكومة فنيّين، هذا الوعي يعمل على حلّ القضايا الاجتماعيَّة على أنَّها مسائل تُحلُّ بمنطق أداتي؛ أي بوسائل تقنية، كما صاحبه عزل الجماهير عن عمليَّة اتخاذ القرار. ويقرُّ أنَّ العلم والتكنولوجيا قد تعاظما إلى درجة أصبحا معها أهمَّ قوَّة إنتاجيَّة، ومن ثَمَّ صارت علاقتهما بالممارسة الاجتماعيَّة وبعالم الحياة اليوميَّة محلّ تساؤل، فالقوى الجديدة لسلطة التصرُّف التقني المتزايد تظهر نوعاً من عدم التلاؤم بين نتائج عقلانيَّة عالية التوتّر، وبين أهداف لا رؤية فيها، وأنساق قيميَّة جامدة وإيديولوجيَّات واهنة، من هنا نرى نقد هابرماس للعقل الأداتي ولتوغل التكنولوجيا والعلم بصورة كبيرة في المجتمعات الحديثة، ما أدَّى إلى اغتراب الإنسان وشعوره بالعزلة.

نظرية الفعل التَّواصلي :

ركَّز هابرماس على نظريَّة الفعل (Action) التي تمثل عنده أساس نظريَّة التواصل، ويقسم الفعل إلى أربعة أقسام:

1 .الفعل الغائي :(Teleological Action) وهو فعل يكون موجَّهاً نحو اختيار الوسائل المناسبة والملائمة لتحقيق الأهداف والأغراض الواضحة، ويسمّي هابرماس هذا الفعل «الفعل الاستراتيجي أو الأداتي(Instrumental) «؛ لأنَّه يتعلّق بالوسائل التي نسعى عن طريقها لتحقيق الأهداف.

2 .الفعل المعياري :(Normative) وهو الفعل الذي يكون موجَّهاً نحو الوصول إلى القيم العامَّة والمشتركة بين الناس؛ أي هو فعل يكون موجَّهاً نحو الإذعان وعدم الإذعان للمعايير وقيم المجتمع وطاعة هذه المعايير.

3 .الفعل الدراماتيكي (المسرحي) :Dramaturgical وهو الذي لا يشير في المقام الأوَّل إلى الفاعل المنعزل، كما لا يشير أيضاً إلى العضو الذي ينتمي إلى جماعة اجتماعيَّة، لكن يشير إلى المشاركين في عمليَّة التفاعل.

4 .الفعل التَّواصلي :(Communication Action) هو الفعل الذي يتمُّ من خلاله تفاعل المشاركين، وعن طريقه يتمُّ استخدام اللّغة كأداة ووسيلة للوصول إلى الفهم، ومن خلال هذا الفعل يتمُّ الوصول إلى إجماع عام بين المشاركين في فعل التَّواصل حول دعاوى الصحَّة العامَّة].

ويشير هابرماس إلى أنَّ هذه الأنواع الأربعة من الفعل تقابلها أربعة من العوالم، ويقسم هذه العوالم إلى:

1 .العالم الخارجي (الموضوعي): وهو يتعلق بالموضوعات التي تتمُّ معالجتها بطريقة تجريبيَّة؛ أي يدويَّاً.

2 .العالم الذّاتي (الشَّخصي): وهو يمثل خبرات ومشاعر وأهداف ورغبات الشّخص؛ أي الأهداف والرَّغبات الشخصيَّة.

3 .العالم الاجتماعي للمعايير: يمثل مجموعة المعايير والقيم الاجتماعيَّة التي يقرُّها المجتمع.

4 .العالم الذي يتمُّ من خلاله الفعل التَّواصلي؛ أي العالم التَّواصلي، وهو مرتبط بالعوالم الثلاثة الأخرى].

ويلفت هابرماس الانتباه إلى حقيقة مهمَّة هي أنَّ الفعل التَّواصلي يكون أكثر عقلانيَّة من الأفعال الأخرى؛ لأنَّه يتعامل مع العوالم الثلاثة الأخرى بطريقة عقلانيَّة. أيضاً يمثل مفهوم عالم الحياة (Life-World) ركيزة أساسيَّة في فهم الفعل التَّواصلي عند هابرماس؛ لأنَّه يرى أنَّ عالم الحياة يمثل الإطار الذي يتمُّ من خلاله فعل التَّواصل، فهو يمثل البيئة الخارجيَّة (المجتمع) الذي يتمُّ فيه التَّفاعل الاجتماعي، كما أنَّه يمثل مبدأ منظمَّاً؛ أي يتمُّ تنظيمه عن طريق اللغة، ويتمُّ الوصول إلى هذا المفهوم عن طريق الثقافة.

المدرسة الثقافية برمنغهام

تعريف المدرسة الفكرية:

يدل هذا المصطلح على الآراء ووجهات النظر التي تتمحور حول مبدأ فكري معين ، فكل مدرسة فكرية عادة تطرح نظرياتها في ظل توجهات فكرية خاصة، و هي بطبيعة الحال تؤسس على ضوء توجهات خاصة لمفكر أو عدد من المفكرين، تحظى آراؤهم بتأييد من قبل البعض، لذلك يبادر هؤلاء بالدفاع عن أفكارها، و الاستدلال على صحتها.

و الجدير بالذكر هو أنه من الصعب التمييز بين النظرية و المدرسة الفكرية، إذ حتى ما يوصف بحسب العرف الأنثربولوجي الأوروبي بأنه مدرسة فكرية نجد علماء الاجتماع الأمريكان يصطلحون عليه بالنظرية، و على الرغم يمكن أن نميز بين المدرسة و النظرية بكون المدرسة الفكرية أكثر شمولية و عمومية من النظرية، و كل مدرسة عادة ما تضم تحتها العديد من التوجهات و النظريات التي يتطرق أصحابها إلى تحليل الشؤون الاجتماعية العامة، و ما يرتبط بالمكونات الاجتماعية الصغيرة، و مختلف المراكز و المؤسسات إلى جانب تسليطهم الضوء على شتى التطورات الاجتماعية، إذ يمكن لكل مدرسة أن تتبنى عددا من النظريات أو الكثير منها.

الخلفية التاريخية لمدرسة برمنغهام:

يعتبر الباحث ريتشارد هوغرت Richard Hoggart هو الذي وضع حجر الأساس لمركز برمنغهام للدراسات الثقافية المعاصرة سنة 1964 ، حيث أشرف عليه بشكل مباشر، ثم انتقلت إدارته إلى ستيوارت هول، و بعده إلى ريتشارد جونسون.

و قد كان لستيوارت هول الدور البارز في اصدار مجلة الأعمال العلمية في الدراسات الثقافية سنة 1972، و ضمن البحوث و الدراسات التي أجراها مع زملائه المفكرين طرح تعريفا موسعا للثقافة، و قد دون أعضاء هذا المركز دراسات و بحوث علمية تتمحور مواضيعها حول مختلف القضايا الثقافية و الإعلامية وشؤون الشباب و التعليم و الأنثربولوجيا و الأثنوجرافيا.

و الميزة الأساسية لهذه المدرسة الفكرية هي أنّ بحوثها ودراساتها ذات طابع أكاديمي، فسلسلة المقالات التي يصدرها مركز برمنغهام تعد النافذة الوحيدة لنشر أعمال أعضائه و طلاب الدراسات العليا فيه، و

من خلال نشاطات هذا المركز و الدراسات الثقافية التي تم اجراؤها، يمكن القول أنّ هذه الدراسات مرت بأربع مراحل زمنية امتازت كل واحد منها بطابع خاص و ذلك كما يلي:

المرحلة الأولى : دراسات ذات طابع وطني شعبي تمحورت بشكل أساسي حول بيان المعاني الدلالية و القراءة الجديدة للتراث و تعدد الهوية.

المرحلة الثانية : دراسات ذات طابع نصي مسرحي

المرحلة الثالثة : دراسات ذات طابع معولم يقصد به إزالة جميع العقبات الثقافية و السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية في رحاب ما بعد الماهوية أي ما وراء الجوهرية،

المرحلة الرابعة : دراسات ذات طابع سياسي.

و تعرف الدراسات الثقافية على أنها مجموعة من الآثار المتنوعة تنصب في توجهات فكرية متباينة ، يراد منها طرح تحليل نقدي لشتى الأنماط و السلوكات الثقافية السائدة في المجتمعات المعاصرة و المجتمعات القريبة من هذا العهد، و هي تطبق أيضا على كم كبير من البحوث و النظريات و مناهج البحث العلمي و الأساليب النقدية، و في رحابها يتطرق الباحث إلى تحليل مختلف الأنماط الثقافية.

عوامل نشأة مدرسة برمنغهام:

- الاهتمام الكبير بالثقافة من قبل المفكرين و الباحثين في العلوم الإنسانية و الاجتماعية
- ربط الثقافة بالمجال الاقتصادي بعد أن كان الاعتقاد السائد في الماضي هو عدم إمكانية الاعتماد على الثقافة و الفن لتحقيق أرباح مالية باعتبارهما أمرين كماليين و ذوقيين ، إلا أنّ تأسيس المتاحف و المراكز الثقافية جعل الناس ينظرون إل الثقافة من زاوية اقتصادية.
- التطور التقني من خلال الشبكة المعلوماتية العالمية، حيث تمكنت العديد من وسائل الإعلام من بسط نفوذها على نطاق واسع و تنوع نشاطاتها مما أثر على وضع الثقافة و الاهتمام بها.
- رواج ظاهرة الهجرتين الداخلية و الخارجية

خصائص الدراسات الثقافية:

تختلف الدراسات الثقافية عن الدراسات و البحوث العلمية في العلوم الاجتماعية، و يمكن تلخيص خصائصها فيما يلي:

- تنوع نظرياتها ومواضيعها و مناهجها.
- تأثرها بالنظريات الاجتماعية السائدة في الأوساط الفكرية الأوروبية باعتبارها المصدر الأساسي للآراء التحليلية و النقدية.
- الاهتمام بالمجتمع المعاصر
- الابتعاد عن الرؤية التشاؤمية للثقافة المتبعة في مدرسة فرانكفورت.
- تسليط الضوء على المخاطب الفاعل، فالمنظرون في المدرسة أكدوا على أنّ الأفراط المخاطبين في وسائل الإعلام ليس مجرد أشخاص متأثرين، بل تتنوع قابليتهم الفكرية و العلمية و تجاربهم ومميزاتهم، لذا فهم يمتلكون قابليات عديدة لاختيار ما يشاؤون بوعي و ادراك، ناهيك رؤى تأولية خاصة بهم، و على ذلك طرح ستيوارت هيل مفهوم الترميز ، حيث اعتبره منهجا تعتمد عليه وسائل

مواضيع الدراسات الثقافية:

الحياة اليومية : ويقصد بها ما يفعله الإنسان ضمن سلوكياته اليومية.

الثقافة العامة : و هي جميع القضايا المبتكرة و من جملتها البرامج المصورة و المسموعة في التلفزيون و غيرها، إضافة إلى قضايا أخرى مثل الموسيقى و الثياب.

المناهج المتبعة في الدراسات الثقافية :

عادة ما يتبع الباحثون المختصون بالدراسات الثقافية مناهج بحث متنوعة في دراساتهم و بحوثهم و غالبية هذه المناهج كيفية، و يمكن تلخيص مناهج البحث المتبعة في ثلاثة توجهات عامة:

المنهج الاثنوغرافي

منهج تحليل المضمون: و الذي يرتكز أساليب سيميائية سيميولوجية و أساليب روائية من خلال اعتبار النصوص تحكي قصص، و أيضا أساليب تفكيكية.

منهج نظرية التلقي : و التي ترتكز فكرتها على أنه يمكن للمخاطب المساهمة في انتاج المفاهيم أيضا، فالنص بحد ذاته يمكن أن يخضع لرؤية المخاطب و تضفى إليه أبعاد دلالية أخرى حسب المستوى العلمي و الخلفية الاجتماعية و الثقافية للمتلقي .

المدرسة النقدية الأمريكية) ناعوم تشومسكي(.Chomsky Noam

مقدمة:

ان الحديث عن النقد في وسائل العالم بالولايات المتحدة الأمريكية يرتبط بالعديد من المفكرين امثال ناعوم تشومسكي الذي يعد اشهرهم على الإطلاق ، في ظل انتقاده للنظام الرأسمالي و تداعياته الأخرى على المستوى الاجتماعي و الثقافي و حتى السياسي.

من هو ناعوم تشومسكي؟

افرام ناعوم شومسكي Chomsky Noam Avram لساني امريكي ، يهودي الاصل من مواليد 1928 ، تلقى دراسته في بنسلفانيا و هناك درس الرياضيات و الفلسفة ، و قد حصل على درجة الدكتوراه عام 1955 ، و عين بمعهد Massachussets ،و ظل يترقى هناك حتى في حياته العلمية حتى حصل على كرسي الأستاذية في لسانيات اللغات الحديثة ، و قد حظيت اعماله بالتقدير في الدوائر الأكاديمية فمنح درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة شيكاغو ، و القى المحاضرات في العديد من الجامعات الأمريكية و غيرها ، و يذكر ان تشومسكي قد اطلع على اللغة العربية و نحوها ايام كان شابا ، و يتضح ان تكوينه قد تأثر بالتراث العربي ، فقد صرح بانه كان مهتما بالتراث العربي و العبري) والده كان عالما في العبرية (، و بعيدا عن مجال اللسانيات عرف تشومسكي بآرائه السياسية لتي اكسبته شهرة واسعة ، و يرجع اهتمامه بالسياسة كونه يهوديا في وسط

مجتمع امريكي مسيحي فتكونت آراؤه السياسية ، و كان يميل الى نزعات متطرفة ثم اشتراكيا ، و لكن شهرته السياسية 11 فقد كان فوضويا) الفلسفة الفوضوية (جاءت من نقده اللاذع للسياسة الأمريكية الخارجية و تورطها في عدة حروب ، فهو ناقد فذ اشتهر بمواقفه الجريئة ضد امريكا خاصة في الشرق الأوسط، و قد صدر لهذا المفكر مئات الأبحاث و الكتب حول اللسانيات و الدراسات النقدية بما فيها وسائل الإعلام .

وسائل الإعلام من المنظور النقدي لناعوم تشومسكي:

ارتبط النقد في وسائل الإعلام لدى ناعوم تشومسكي بالنقد السياسي ، حيث يعتبر أنّ الولايات المتحدة الأمريكية تحافظ على مصالحها بشتى الطرق انطلاقا من المعيار البراغماتي ، و أي تعارض مع

المصلحة الأمريكية يعد خرقا لحقوق الإنسان و مبادئ الديمقراطية ، كما ان أمريكا مفهوم نمطي للإرهاب فمهما كانت افعال الدول فهي ال تعد ارهابا طالما ال تمس المصالح الأمريكية ، و مهما اقترف حلفاؤها من جرائم فهي مبررة من المنظور الأمريكي على انها حري ضد الإرهاب الذي هو صناعة امريكية "

قدم تشومسكي عشر استراتيجيات تستخدمها امريكا من اجل التحكم و تضليل الشعوب في كتابه الأسلحة الصامتة لحرب هادئة :

1-استراتيجية الإلهاء و التسلية بدل الاهتمام بالمشاكل الحقيقة.

2-افتعال المشاكل و تقديم الحول.

3-التدرج في تنفيذ قرارات سياسية حتى يكون تقبلها سهلا من قبل الجمهور.

4-التأجيل و التلاعب بالوقت و ان كل شيء سيكون على ما يرام.

5-مخاطبة الجمهور على انهم اطفال.

6-مخاطبة العاطفة بدل العقل و زعزعة مختلف القناعات التي يؤمن بها الجمهور.

7-اغراق الجمهور في الجهل و الغباء.

8-تشجيع الجمهور على استحسان الرذيلة.

9-تحويل مشاعر التمرد الى الإحساس بالذنب.

10-معرفة الأفراد اكثر من معرفتهم لأنفسهم) بفضل ما توفره التكنولوجيا من

تقنيات للحصول على المعلومات)

النظرية النقدية و نقد محتوى وسائل الإعلام:

اهتم مفكرو النظرية النقدية بالتأثيرات السلبية لوسائل الإعلام من خلال بروز مفاهيم مرتبطة بهذه النظرية على غرار مفاهيم الثقافة الجماهيرية و تسليع الثقافة، و خداع الجماهير و غير ذلك من المفاهيم و المقولات الأساسية في الخطاب الفكري العام لمؤلفات و دراسات أصحاب الاتجاهات المنضوية تحت مشروع النظريات النقدية، و هي صلات وروابط سمحت بافتراض تبني مدرسة فرانكفورت لموقف نقدي إزاء وسائل الإعلام الجماهيرية باعتبار الوظائف التي تؤديها في المجتمع الحديث الجامع بين التصنيع و الاستهلاك .

و فهم الإطار البراديغمي للنظريات النقدية يتحقق من خلال تحديد أهم المفاهيم المركزية الفكرية في مشروعها الحامل للصفة النقدية، ذلك أنّ منطلقات النظرية النقدية تسعد البحث على التأصيل الفكري الاجتماعي و الفلسفي لمواقف أصحاب مدرسة فرانكفورت من الثقافة السائدة عموما و من مضامين وسائل الإعلام و تأثيراتها .

ولقد بنيت فلسفة النظرية على نقد المجتمعات المعاصرة و المتناقضة حيث أنّ التطور التكنولوجي رافقه خلل فل العلاقات الإنسانية، من خلال بروز أمراض اجتماعية كالإنغلاق، و العزلة و الاغتراب و غيرها، حيث يفترض أنّ تطور وسائل الاتصال يؤدي إلى إمكانيات أفضل لتواصل الإنسان إلا أننا أصبحنا نرى العكس بسبب الاحتكار و المنافسة غير شريفة لوسائل الإعلام .

و قد ركزت النظرية على وسائل الاتصال الجماهيري أو ما يعرف بالمخرجات السلبية لهذه الوسائل، و يقصد بها التأثيرات السوسيولوجية المرتبطة بالقيم التي تؤثر على الحياة الاجتماعية من قبل الاتصال ووسائله وتبرز في :

الثقافة الجماهيرية المعبر عنها بالصناعة الثقافية .

الهيمنة.

تشييئ الجمهور وجعله متلقيا سلبيا يفتقد إلى التفاعل النقدي

و بشكل عام اهتمت النظرية بالسياق الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي للبلد الذي تجرى فيه العملية الاتصالية، و الأسئلة التي كانت تشغل بال المفكرين هي :

1. من يراقب الاتصال؟
2. لمن يوجه الاتصال؟
3. لفائدة من ؟

و هناك العديد من المفاهيم التي ارتبطت بالفكر النقدي و التي طبقت في مجال الإعلام و الاتصال و التي يمكن ابرازها كما يلي :

العقلانية الأداتية :

تناول هذا المصطلح ديكارت و فرانسيس بيكون وصولا إلى كانط، و هو يركز على فكرة توظيف العقل من أجل السيطرة على الطبيعة، حيث ارتبط العقل بالتقنية كونها أداة لتحقيق النجاعة و الفاعلية، و لهذا كانت العقلانية الأداتية نتيجة حتمية لفكرة الصراع من أجل السيطرة على الطبيعة ، و يؤكد أدورنو هوركايمر أنه من خلال تشغيل العقل يبتعد الناس عن الطبيعة ليجعلوها ما يشبه الشيئ ، أو الأداة و قد اعتبرت العقلانية الأداتية الطبيعة مادة استعمالية يتم توظيفها في خدمة أهداف الإنسان العملية و تحقيق مصالحه و منافعه المادية، فالسيطرة التي أصبحت تمارسها التكنولوجيا على الإنسان اليوم أخطر و أشمل من السيطرة التي عرفها في الماضي، لأنها شملت عقله و عواطفه و رغباته و غرائزه و جسدهن و هذا عندما أصبح خاضعا لوسائل الدعاية و الإشهار و الإعلام التي تعمل على ترويضه و اختزاله في البعد الاستهلاكي ، ويرى هابرماس أنّ العقلانية الأداتية ينبغي أن تكون تواصلية و التي تعنى ذلك التفاعل الذي يحدد طبيعة العلاقات الاجتماعية أو الإنسانية في حقبة تاريخية ما بواسطة الرموز ، و هذا ما يدعو للتفكير في العقلانية التواصلية .

التشيؤ : يرفض مفكرو النظرية تشييء المعرفة الإنسانية كالثقافة و الفن و الأدب لتصبح سلعة تفقد قيمتها التبادلية و تصبح شيئا، و يرى تيودور أدورنو أنه مع ظهور المجتمعات الرأسمالية أصبحت منتجات الصناعة الثقافية كلها سلعة، و الربح هو كل شيئ ، و هذا ما يشير إلى مفهوم الترابط بين الثقافة الجماهيرية و صناعة الثقافة و هو ما يعبر عن فرض مفهوم التشيؤ الذي صاغه جورج لوكاش فيما يتعلق بتعطيل العقل و انعاش الجوانب الغريزية في الإنسان .

الاغتراب : ركزت هذه النظرية على الاغتراب الثقافي الذي يعد سمة المجتمع المعاصر، فالنظام القائم يلجأ إلى آليات عديدة تصنعها وسائل الإعلام و الاتصال، فإذا كان الإنسان يحرص على إشباع

حاجاته الأساسية، فإنّ ذلك خير وسيلة للقضاء على حريته من خلال خلق الإنسان المتكيف ذي النمط الواحد .

الثقافة الجماهيرية : هي ثقافة لا علاقة لها بحاجات الجمهور، فهي لا تعبر عنه و لا تمثله لأنها تلبي حاجات المنتجين و أصحاب المصالح، و تتمثل في جملة قيم الثقافة التي تروج عبر وسائل الإعلام ، و هي عادة ما ترتبط بسيكولوجية المستهلك و تكون حافزا إضافيا له، و تنشر معايير مبسطة و قيما نمطية، و ارتباطات رمزية، كلها تنتقص من قيمة الثقافة و تفرغها من مضمونها الحقيقي و تحولها إلى مجرد نوع من التسلية الخالصة و الاستهلاك المتعي ، بل و تهبط بها أحيانا إلى مستوى إلهاء الغرائز و من ثمة خلف إنسانا نمطيا، و هي بهذه الكيفية تشكل أداة للتأثير الإيديولوجي و النفسي على الجماهير العريضة بغرض غرس النزعة الاستهلاكية .

الإنسان ذي البعد الواحد : يرى هاربرت ماركيوز أنّ وسائل الإعلام و الاتصال تزيف الوعي في المجتمع الصناعي المتقدم، و قد تعاظم خطرها في الآونة الأخيرة، و ذلك بفعل التكنولوجيا حيث تلعب الآلة دورا أساسيا و بارزا في هذه المجتمعات، و هنا تلعب ثقافة المجتمع التكنولوجي دورا هاما في أحادية تفكير الإنسان من خلال القدرة الهائلة لتكنولوجيا الاتصال الجماهيري، حيث يعيش مجمل الأفراد في المجتمع خاضعين لجهاز يشمل الإنتاج و التوزيع و الاستهلاك المادي و الفكرين حتى أصبح يعيش الاغتراب و التشيؤ لذا فقد حريته و استقلاله الذاتي .

وسائل الإعلام كآلية لتكريس الهيمنة :

إن نقد النظرية النقدية للمجتمع الصناعي الحديث الاستهلاكي، حتم آليا نقد وسائل الاتصال باعتبارها نظم اجتماعية تساند وظيفيا أهداف ومصالح النظم المالكة بالسلطة والثروة. ومن ثمة، فهي وسائل في هيمنة ممّا يدعم خدمة الأطراف المهيمنة على مجالي السياسة والاقتصاد وناقلة لرموز ومعاني القوى، و ترى النظرية أنّ التكنولوجيا و التقانة الإعلامية ضللت الناس في البحث عن شراء الحقيقة، فالمؤسسة الإعلامية الحديثة تلعب دورا خطيرا يتمثل في السيطرة الاجتماعية و فرض الهيمنة الفكرية، من خلال تعبئة الرأي العام بمجموعة التأثيرات السلبية خصوصا تلك المتعلقة بالمشاعر و السلوكات و المواقف و الأفكار، و تعتبر هذه المدرسة أنّ الهيمنة التي ترددها دائما في بحوثها هي السلوب المناسب

و السائد للعلاقة بين من يملكون و من لا يملكون، و نجد في ذلك ستيوارت هول الذي قدم مقاربة تخص نقد ظاهرة الهيمنة ووسائل الإعلام تتلخص في :

1. ما تقدمه وسائل الإعلام يروج لصالح الطبقة المسيطرة اقتصاديا على جل الطبقات الموجودة في المجتمع .
2. ظاهرة هيمنة عملاء وكبار الشركات على وسائل الإعلام ينتج عنها مضامين إعلامية غير محايدة و ضعيفة المصداقية .
3. ما يوظف في محتوى وسائل الإعلام من رموز ومعاني إنما هو في خدمة الطبقة المهيمنة و في نفس الوقت يساهم في إعداد انتاجها.

الثقافة من خلال وسائل الإعلام : يعمل الإعلام على خلق ثقافية استهلاكية و ترسيخها و هذا للحصول على الزبون أو المستهلك، حيث أصبحنا نشهد ثقافة جديدة يطلق عليها ثقافة ما بعد الجماهيرية، و هي ثقافة تركز على الصورة التي سهلت عملها عدة أمور منها :

_ البلاغة الالكترونية من خلال التركيز على الاقناع الذي يعتمد على الإقناع و المؤثرات السمعية البصرية و سرعة النقل و التقديم .

_ الانتقائية أي انتقاء و تحديد أطر المعلومات المتاحة بحيث أنها تضع جدولا للمشاهدين يوميا بماذا يجب أن نفكر و نصنع و نعمل و نلبس و حتى ماذا نأكل، فاختيارنا يكون على أساس الانتقائية التي تمارسها وسائل الإعلام .

_ التركيز على الإعلام الاستهلاكي .

_ التركيز على المرح و التسلية و الترفيه .

_ تهميش الفاعلية و تخدير الوعي من خلال النجومية حيث أنّ أغلب وسائل الإعلام تركز على النجومية بشتى أصنافها، و تخصص لخبار النجوم من المساحة ووقت البث ما لا تخصصه للموضوعات الأخرى المهمة .

_ تكثيف المعلومة و ضغط الزمن أو تكريس السرعة و الآنية فهي لا تتركل المجال للتوقف و العودة إلى الوراء .

_ تكريس مبدأ الربح السريع و السهل وتنمية النزعة الاستهلاكية من خلال مخاطبة العواطف و الغرائز و العمل على استيلاب الجمهور و السيطرة الناعمة عليه.

نقد النظرية :

من أهم إيجابيات النظرية النقدية أنها تنتقد التوجهات الرأسمالية بالتشريح و التفكيك، و تنتقد النظريات العلمية و الوضعية التي أهملت الإنسان و الذات و المجتمع، و المصلحة الاجتماعية، و القيم الأخلاقية و اعتبرت الإنسان موضوعا مشيأ تتحكم فيه الحتميات، و أنه لا قوة لا و لا فاعلية في صنع التاريخ أو تغيير المجتمع، و من ثمة فقد جاءت النظرية النقدية لتصحيح أوضاع المجتمع و تغييرها، و ذلك عن طريق تخليص المؤسسات الرأسمالية المهيمنة، وفضح أوهامها الإيديولوجية، و تطوير المفاهيم الماركسية في ثوب جديد، أو إعادة صياغتها مرة أخرى كما فعل هابرماس، و قد تحققت فعلا قطيعة أبستمولوجيا بين النظرية النقدية القديمة و النظرية النقدية الجديدة .

أما عن أهم الانتقادات الموجهة إلى مفكري المدرسة هي اختلاف آرائهم من شخص إلى آخر و اختلاف توجهات مدرسة فرانكفورت لما بعد الحداثة عن مدرسة فرانكفورت في الثلاثينيات من القرن العشرين، كما استبعدت المدرسة اهتمامها بالتاريخ و الاقتصاد إلى حد كبير و انحرفت عن مبادئ الماركسية الكلاسيكية ، و قد همشت النظرية النقدية الجديدة مع هابرماس الطبقة العاملة باعتبارها طبقة ثورية سياسية فاعلة ومغيرة، و هناك من يرى أنّ النظرية النقدية لا تمتلك المفاهيم و الأدوات التصورية القادرة على سد الفجوة بين الحاضر و المستقبل .